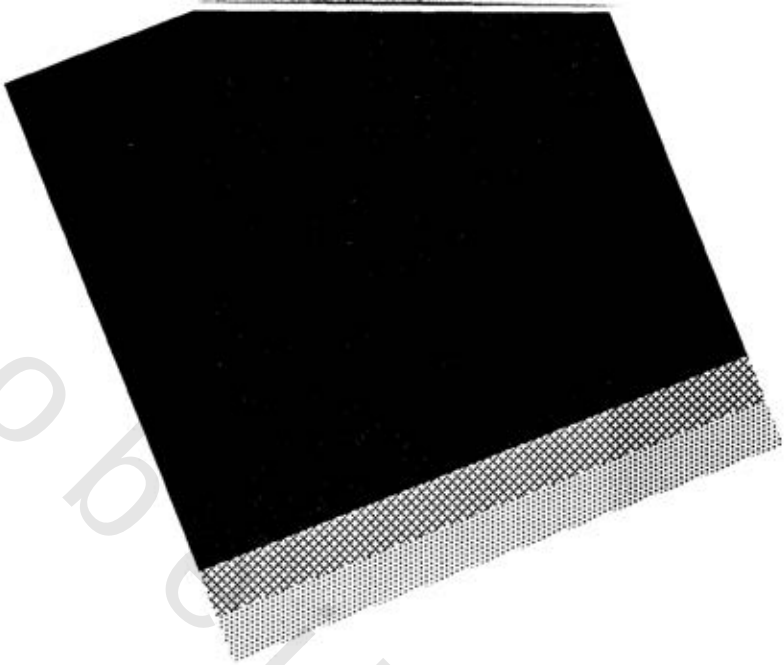

القسم الرابع

مأســـــاة جميـــــلة

1 ـ مسرحيـــة مـــن الشعـــر الـــحر

للشاعر: عبد الرحمن الشرقاوي

obeikandl.com

obeikandl.com

الأشخاص حسب الظهور

مصطفى بوحريد : تاجر

أحمد المصري : صاحب مقهى

عمار : كميائي شاعر

أمينة : طالبة

هند : خطيبة عمار

جان : شاويش فرنسي

جاسر : قائد منطقة الجزائر ـ عامل

هارون : شاب عاطل

جميلة : طالبة ـ بنت شقيق مصطفى بوحريد

بيير : ضابط فرنسي في غرفة المظلات

فريتْز : ضابط ألماني في اللفيف الأجنبي

عزام : ضابط في شرطة الجزائر

سرحان : شقيق جميلة

سيمون : راقصة فرنسية ـ صاحبة مرقص

أم أمينة ـ شقيقها الصغير ـ مواطنون جزائريون ـ صحافي فرنسي ـ صحافي أمريكي ـ طبيب السجن ـ مأمور السجن ـ طالبات جزائريات ـ جنود وضباط فرنسيون ومن اللفيف الأجنبي ـ أطفال جزائريون ـ مستوطنون فرنسيون ـ محام فرنسي ـ محام جزائري ـ قضاة فرنسيون ـ ممثل الاتهام.

زمن المسرحية: الربيع والصيف من سنة 1956.

مكان المسرحية: مدينة الجزائر.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

المنظر الأول

(شارع في حي القصبة بمدينة الجزائر.. الشارع يبدو متدرجًا كالسلالم ملتويًا: مليئًا بالدروب الجانبية.. في أقصى المسرح ــ في الصدر ــ يبدو المدخل.. حيث تظهر في الأفق أبراج قلعة بربروسة: السجن الرئيسي الكبير.. في الشارع دكان مغلق.. وبيوت لم تفتح أبوابها بعد.. وفي مقدمة المسرح يبدو من على اليمين جزء من "مقهى أحمد المصري".. باب المقهى مغلق أيضًا.. إذ نحن ما نزال نستقبل أول شعاع من الفجر.. الشعاع يملأ المسرح رويدًا رويدًا.. في الشارع.. على باب المقهى.. يقف رجل شبه ملثم في ثياب وطنية وهو يقرع الباب المغلق.. الرجل هو: "مصطفى بوحريد".. كهل في نحو الخمسين).

مصطفى : يا أحمد، افتح يا أحمد

(يفتح الباب)

أحمد : "في فتحة الباب" بوحريد، أعدت من الجبل؟

أسليمٌ أنت؟ لقد كنا قلقين عليك!

مصطفى : أكلّ الشعبة مجتمعهْ؟

أحمد : إلا جاسرْ؛ فلديه ميعاد آخرْ في لجنة مسئولي الجبهةْ

مصطفى : في اللجنه؟

أحمد : من أجل الإضرابْ فغدًا إضراب. أنسيت؟

واللجنة تجتمع الآن لتُنَظِّم هذا الإضرابْ.

ادخل... ادخل

(يدفع أحمد المصري حائط المقهى.. فإذا هو حائط سري ينفتح كله كالستار عن حجرة سرية ضيقة كأنها منحوتة في الصخر.. وفيها عمار وهند وأمينة.. يكملون حديثهم حول مائدة تحت شعاع مصباح يرسل ضوءًا خافتًا.. الجو يرسم طابع اجتماع سري. لا ينتبهون لدخول مصطفى أول الأمر.. إذ إن مناقشة حادة تدور بينهم)

عمار : "في انفعال" هل يحكم عالَمنا هذا ميثاقُ الأمم المتحدهْ
أم أن المدفع يحكمه والطلقة تبطش بالكلمه؟!

أمينة : لا تحلم يا عمار بعدل يمنحه الأقوى بعدُ؟

عمار : "مستمرًّا" خطفوا الزعماء الخمسة!.. يا للعار!

أحمد : يا عمار

هند : "بألم" أجل، خطفوا الخمسه

أحمد : فليكتم كل فتى يأسه
لن يفرض قانونَ الإنسان سوانا نحن، متى فزنا

عمار : لكنهم قبضوا اليوم على ألف... ألف منا

أمينة : فستنبت بعدهم الآلاف

عمار : وليس لدينا أسلحه

أمينة : فلننزعها من أيديهم

مصطفى : عمارْ!.. أهزتكَ الضربه؟

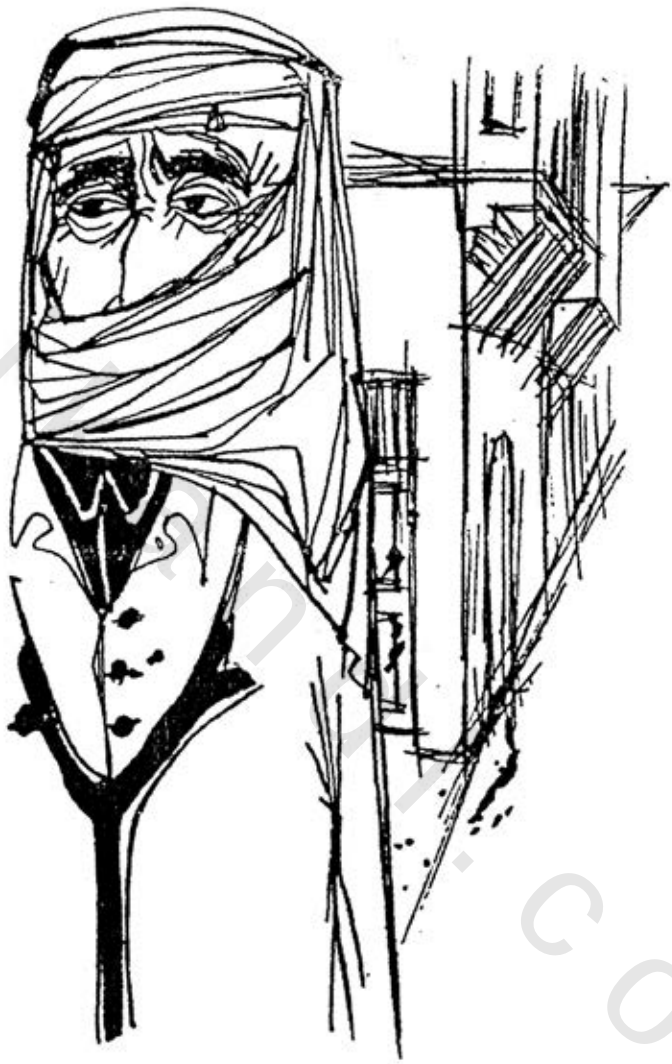

عمـــــار : بوحريدْ؟ أعدتَ؟

أميـــــنة : صباح الخير..

هـــــند : متى عدتَ؟

عمـــــار : كيف الإخوان على الجبل؟

مصـــطفى : الكل هناك، شعارُهم: سنرد الضربة ضعفين
مازلنا نملك أن نحيا

هـــــند : مازلنا نملك أن نضرب

أحمـــــد : **(لهند مشيرًا إلى عمار)** قولي لخطيبك كي يهدأ

عمـــــار : من أول أمس مذ خطفوا بن بيللا والزعماء معه
والناس تراهم في الشارع كالمسحورين! الشعب يدمره الخوف!

أحمـــــد : **(مقاطعًا)** وما يدريك؟ أأنت الشعب؟

أميـــــنة : أنت الخائف، لا الشعب!

هـــــند : **(بغضب)** أمينه!

أحمـــــد : ماذا تعرف يا عمار عن الشارع؟
وحياتك في معملك النائي أو في الشعر؟!

عمـــــار : يا أحمد، لا.. فأنا أحيا في قبضة أظفار الواقع
أرأيت الشارع بالأمس؟

هـــــند : اسكت... اسكت يا عمار

أحمـــــد : يا ثرثار!

obeikandl.com

مصـــطفى : إن الإخوة في الجبل، ينوون الرد على عجل

عمـــــار : **(بضيق)** لكنهمُ محصورون ومحتاجون إلى أسلحة، وإلى أدوية، وإلى أطعمة، وإلى أغطيه

مصـــطفى : يا عمار، في صوتك إذعان يائسْ لكأنك مهزوم!!

"همهمة سخط من عمار وهند"

أحمـــــد : دعوا بوحريد يقل

أميـــــنة : ليقل بوحريد

مصـــطفى : بوحريد يقول: القوة تنبع من قلب الإنسان

عمـــــار : وبعد!

هـــــند : اسكت أنت...

عمـــــار : ماذا يا هند؟

مصـــطفى : خطفوا الزعماء؟ إذًا فلنخطف منهم أثمن ما يخطف

عمـــــار : أترانا نسرق يا بوحريد؟

أحمـــــد : **(بضيق)** أتراك تعود لتتفلسف؟

أميـــــنة : اسكت يا أحمد دع بوحريد يقل

مصـــطفى : بوحريد يقول: لا تترك غيرك يسرق منك شجاعة قلبك..

عمـــــار : الناس يواجههم في الشارع في الفلواتِ سؤال فاجع:

ماذا نعمل؟

سؤال يجثم مثل الهول على طيبه!

أحمـــــد : ما هذا الهول؟ وما طيبه؟

obeikandl.com

عمـــــار : "مستمرًّا" والجيش هنالك في مأزق...

أميـــــنة : "بضيق" ليقل بوحريد إذًا

مصـــطفى : بوحريد يقول لكم: من عاش بهذا اليأس، سيتمزق

عمـــــار : أنا لم أيأس، لكن قل لي أنت وأنت حكيم... قل
أين الباخرة المشحونة بالأسلحة؟ أما غرقت؟

مصـــطفى : لا، لم تغرق، ليس لدينا نبأ عنها بعد

أميـــــنة : ولماذا تصرخ في يأس؟ هبها غرقت

أحمـــــد : ليقل بوحريد

مصـــطفى : بوحريد يقولْ: أحلك ساعات الظلمهْ
هي ساعة ما قبل الفجرِ والفجر يجيء على قدرِ

أحمـــــد : "بفرحة" قل أيضًا من فيض الحكمه
فكلامك حلوٌ والله

مصـــطفى : بوحريد يقول لكم: سنقاتل حتى بعظام الموتى!
فعدوُّ الله وإن حاصرنا يخشى الزحف ولا يقوى
ولقد أنهكه الوضع الراهن أكثر مما أنهكنا
"ثم لعمار"
لو كنت رأيت جنودهم في سفح الجبل كأنهم هملٌ ملقى
الخوف يذيب ضراواتهمْ واليأس يمزقهمْ إرْبا!
أما نحن، ففوق القمة نكشف كل مواقعهم

عمـــــار : وكأنا آلهة عطشى!

أحمـــــد : ليقل بوحريد

مصـــطفى : بوحريد يقول: اصنع ما أنت به أدرى
أسلحة من حلف الأطلنطي تشحن للأعداء

أميـــــنة : "بلهفة" متى؟

مصـــطفى : اليوم مساءً وقت المغرب

أميـــــنة : (بحسم) فلنمنعها!

أحمـــــد : خمسون قطارًا ـ فيما أعلم ـ أو سبعون

مصـــطفى : يا أحمد، لا!. بل أربعه

أميـــــنة : فلنمنعها!

مصـــطفى : علينا نحن هنا في القصبة أن نمنعها

أميـــــنة : لندمرها!

هـــــند : فلننسفها!

أحمـــــد : (وهو يفكر) بل نأسرها
فالغنم ما فيها حتى تأتينا المركب بالشحنه

عمـــــار : بل نأسرها؟ وبمن قل لي؟ أحمد يهذي!

مصـــطفى : (بحسم) فليمسك كل أعصابه!
أم هان الأمر فأصبحنا يتهم الواحد أصحابه؟

أميـــــنة : لم لا تُنسف تلك الشحنة في موضعها؟

هـــــند : فلننسفها في موضعها

مصـــطفى : مرحى

obeikandl.com

عمـــــار : مهلا

أحمـــــد : ماذا أيضًا؟

عمـــــار : "بخطورة" ستثور شظايا هائلة ولسوف يموت كثيرون

أحمـــــد : لكن الضربة تستأهل

أميـــــنة : فسترفع من روح الشعب

أحمـــــد : وتميت فرنسا بالرعب

عمـــــار : ويموت الناس بلاعدد

أميـــــنة : سنوجه إنذارًا للناس قبيل التفجير
بوقت يكفي لنجاة جميع الناس من الموت

أحمـــــد : إلا الحراس

أميـــــنة : هذا تدبيري يا أحمد

مصـــطفى : ستكون أمينة مسئولهْ

أميـــــنة : "لعمار" أنا المسئولة عن أمنك

عمـــــار : "بضيق" أنا لا أتحدث عن أمني الشخصي ولكن عن غيري!
لماذا يتهم الإنسان أخاه إذا اختلفا في رأيْ؟
سيكون حريق كالطوفان يهدد حتى هذا الحي؟
فلنرم الألغام بعيدًا

مصـــطفى : لا بأس بأن نبعد ميلاً إن كان يريحك هذا الأمرْ

هـــــند : ميل! قد تنجو أسلحة من شحنتهم

عمـــــار : لن ينجو شيء إطلاقًا فلنرسم خطتنا الآن

أمينة (لعمار) : سأزورك بعد المدرسة في معملك السري والآن أقوم لمدرستي

obeikandl.com

هـــــــند : فليُخْطر جاسر بالخطةْ ليغيرها إن لم ترضه

أحمـــــــد : "لمصطفى" أيبقى جاسر يتنكر باسم آخر يا شيخ!

مصـــطفى : فلتصبرْ! فالصبر سلاح أيضًا في أيدينا

أحمـــــــد : أنعمْ بالصبرْ!

أميـــــــنة : (فجأة لمصطفى بوحريد) ما قولك في ضم جميلةْ؟
قد كنت أرشحها من قبل وجاسر كان يؤيدني

مصـــطفى : لنجربْ في يوم آخر فمهمتكم ليست سهله

(أحمد يعالج بابًا جانبيًّا على اليسار يفضي إلى سرداب ويخرج منه)

عمـــــــار : إن جميلة في رأيي عضو ممتاز نكسبهُ

هـــــــند : فلنبحث هذا فيما بعد

"يعود أحمد من السرداب"

أحمـــــــد : السرداب نظيف جدًا

(يخرج مصطفى)

مصـــطفى : سيروا من خلفي وليحرسنا الله بعين رعايته!

(تخرج وراءه أمينة)

عمـــــــار : يا ربي! ثبت قلبي فأنا أشقى من أجل الراحة يا ربي!

هـــــــند : عمار يعود إلى الشعر

أحمـــــــد : "يدفعه" أسرع، أسرع! لا تتفلسفْ

(هند تجذب عمارًا من يده ويخرجان، ويغلق أحمد باب السرداب ثم يسد الحائط السري)

obeikandl.com

المنظر الثاني

(الشارع السابق نفسه بعد مرور ساعات النهار، باب المقهى مفتوح وأمامه الكراسي وموائد جلس إليها بعض رجال.. وهارون يقعد متشاغلاً بقراءة جريدة.. بينما أحمد المصري يحمل شايًا إلى مصطفى بوحريد في دكانه، ويقعد معه على دكة أمام الدكان المفتوح؛ حيث ترى أثواب الحرير معروضة.. شمس الأصيل تلقي بأشعتها الشاحبة على الشارع الذي تستطيل فيه الظلال.. وأبراج قلعة بربروسة تبدو بوضوح من بعيد؛ حيث تتخذ السماء من ورائها لونًا ورديًّا يختلط بالزرقة.. والغمام الداكن يزحف على كل شيء مؤذنًا بهبوط المساء والجبال تبدو من بعيد.. أمام أحد الجدران.. في الشارع يقف شاب جزائري في ثياب عامل.. يلصق إعلانات كتب عليها بالعربية والفرنسية: "مكافأة مليون فرنك لمن يقبض أو يساعد في القبض على جاسر: قائد الإرهابيين"... الشاب الجزائري يقوم بعمله في حراسة جان، وهو شاويش فرنسي تبدو عليه الطيبة التي يخالطها الضجر ... جان يحاول أن يتودد إلى الشاب فيتمسح به.. وجان هذا هو أبعد الناس عن هيبة المهمة التي يكابدها)

❖ ❖ ❖

(جان ينظر إلى الإعلان نظرة خاطفة وكأنه قرأه مائة مرة.. وفي الحق، إنه صنع هذا من قبل أكثر من مائة مرة.. ثم يتجه إلى العامل الجزائري، الذي اتخذ اسم "مبروك".. جان يتحدث بتودد ملحوظ، وهو أحيانًا يحلم)

جـــــان : مليون يا مبروك؟؟ ما هذا؟

مـــــبروك : نعم مليون!

جـــــان : كم تساوي هذه المليون؟ قل لي

مـــــبروك : رأس جاسر

جـــــان : لا!.. بالدولارْ

مـــــبروك : أضمنت أن تأتي بجاسر فأخذت تحلم أن تهاجر

كم تغامر في شيكاغو؟

جـــــان : **(مازحًا)** لا يا حمار!

مـــــبروك : ماذا تقول؟

جـــــان : **(متلطفًا)** أنا أضاحك صاحبي

مـــــبروك : ومتى يصاحب حارسٌ منكم ضحيته السجينْ

(مبروك يلصق الإعلانات هنا وهناك ببطء شديد وعيناه على جان)

جان (بضيق) : أولاً[1]! الضحايا والسجون ورنة الحقد الحزينْ!

لنعد لما كنا نقول أنسيت ما كنا نقول؟

أنسيت أني قلت يومًا: إنني أنوي الرحيل؟

لأعيش أيامي التي بقيت، هنالك في فرنسا

بين المراعي والحقولْ على مهاد طفولتي

هناك في الوادي الخصيبْ

وادي اللوارْ حيث الطلاقة والأمان

وكل ما حولي أليف لي حبيبْ

والأرض مترعة بألوان الثمارْ! فأنا هنا في وحدتي

---

(1) تعبير فرنسي يدل على التعجب.

obeikandl.com

مـــــبروك : **(يقاطعه)** هذا عجيب يا جان، كلكم هنا ينوي الرحيل فتحلمون، وتحلمون

لكنكم لا ترحلونْ بل، تُطردونْ

أو تُدفنون هنا بلا شرف يعزي فاقديكم

(مبروك يتجه إلى دكان مصطفى)

جـــــان : أما أنا، فلسوف أرحل لا محالة سوف أرحلْ

فأنا غريب هاهنا، مهما أقم فأنا غريبْ!

ويكاد يفتك بي هنا السأم العقيمْ

ويغيض رونق عمري المنبوذ في ندم عظيمْ

مـــــبروك : عجبًا.. أتعرف ما الندم؟؟

جـــــان : لم لا؟؟ أتحسب أن قلبي قُدّ من صخر أصم؟

قد كنت سجانًا فهزتني البشاعة في السجون

ونقلت إلى السجن الكبير

انظر هناك.. ألا تراه؟؟ أوَلا ترى أبراجه الصماء؟؟

مـــــبروك : تعني بباروسهْ

جـــــان : **(مستمرًا)** ورجوتهم أن ينقلوني فاستجابوا للرجاءْ

مـــــبروك : لكنهم لن يتركوك تفر من هذا الجحيمْ

لن يتركوك تعود من أرض الجزائر سالمًا..

(يحاول لصق الإعلان على دكان بوحريد)

مصـــــطفى : مبروك، لا تلصق على الدكان إعلانًا! كفى!

"هارون على المقهى يترك الصحيفة ويتأمل"

obeikandl.com

أحمـــــد : ماذا؟ إعلان جديد؟ مليون.. ماذا؟؟

هذا بعملة مصر ألف جنيه

هـــــارون : حقًّا؟؟

مصـــطفى : في كل يوم يرفعون الجائزه

هـــــارون : لن يوقعوه فإنه بطل عظيمْ أنا أعرفه!

(هارون يعاود قراءة جريدة، بينما يقول مصطفى لأحمد)

مصـــطفى : لكلامه هذا رنين خادع مثل النقود الزائفة

أحمـــــد : هذا الغلام محير يا مصطفى! كلماته.. كلمات أبطال كبارْ، وكأنه أيضًا بطلْ!

لكنه على الرغم من هذا يثير من الغبار

على سلوك القادة الأبرار.. مالا يحتملْ

وكأنه متطرف عنهمْ

(مبروك مازال يعمل في لصق الإعلانات، وجان يحرسه ثم يختفيان في أحد الدروب الجانبية)

مصـــطفى : أنا ليس تخدعني حماسة ذلك الصنف المزيفْ

لِمَ يطعن الزعماء ثم يعيد نفس كلامهم؟

فيم إذًا هذا التطرفْ؟؟

أحمـــــد : قد كان معتقلاً، وفرّ!

مصـــطفى : أعرفت إنسانًا سواه نجا سليمًا هكذا من معتقلْ؟!

أيفر من معتقلاتهم أحد ويبقى هكذا وسط المدينة في سكينة؟

أحمـــــد : كم عذبوه!

obeikandi.com

مصـــــطفى : لكنهم لم يتبعوه!! بل إنهم تركوه يسرح بيننا

ويثير شبهات على زعمائنا باسم التطرف

فكر لتفهم يا أخي سر التطرف!

أحمـــــــد : أنا لست أفهم يا أخي.. أنا لست أعرف

(يمر رجلان.. يتوقف أحدهما لقراءة الإعلان فيشده الثاني)

أحمـــــــد سيرًا بغير تلكؤٍ وتماحك وتباطؤٍ ماذا تراك ستستفيد؟

أحد الرجلين: **(وهو يشد الإعلان ويخرج مسرعًا وراء زميله)**

أما أنا فلسوف ينفعني الورق

(يظهر جان)

جـــــان : ماذا بحق الله يجري هاهنا في غفلة مني؟؟ أنا لا أغفلُ

مبروك ألصق غيره. ألصق على الورق الممزق!

ألصق هنا وهناك.. ألصق؟

أحمـــــــد والله، أنت مغفل.

المصـــــري: **(يعود مبروك ليصلح الإعلان الممزق ووراءه جان، وعندما يفرغ من مهمته خلال الحديث التالي يعود إلى أحد الدروب ووراء جان دائمًا)**

هـــــارون : **(ينتفض وهو يلوح بالجريدة)**

أتصدقونْ؟ هذا كلام لا يصدقْ؟

ماذا؟ هل اعترف بن بيللا والصحاب؟

أتراهمُ من أجل هذا أوقعوا ألفين منا؟!

أحمـــــــد : **(بانفعال)** لم يقبضوا إلا على ألف فحسب.. يا هباب

obeikandl.com

هـــــارون : هذا كلام في الجريده!

مصـــــطفى : لا تروج بيننا هذا الكلام

أحمـــــــد : إنا لنعرف كيف يكتبْ

مصـــــطفى : وبمن يروج أو يردد من أجل تشويه البطولة، والمثل؟

هـــــارون : عجبًا، وما يعنيك أنت؟

مصـــــطفى : أنا؟ تأدب ولتحترم شيخوختي

أحمـــــــد هارون، قم من دربنا لِمَ أنت منحط هنا طول النهار ومن
المصـــــري: صبيحة ربِّنا؟

قم يا أخي من قهوتي اذهب إلى درب اليهود!

هـــــارون : يا أحمد المصري. مالكَ؟ هل أسأت إليك؟

أحمد المصرى اقعد فى أدب لا تنحشر في شغل غيرك.

هـــــارون : يا أحمد المصري، أمرك!

أحمـــــــد : اذهب فقبل رأس عمك مصطفى بوحريد... قم

هـــــارون : لكنه بدأ الشتيمة يا أخي؟

أحمـــــــد : أنا قلت قمْ صالحه يا ابن الموسويه

(يجره من يده إلى دكان مصطفى بينما يقبل أولاد فيقفون أمام الإعلان)

ولـــــــد : مليونْ بالأمس كانت نصف مليون

الثانـــــي : غدًا تغدو ثلاثه!

(يظهر مبروك وجان)

ثالـــــث : أنا لست أعرف كيف أقرأ؟

الثانـــــي : ما شكله المليون هذا؟ كيف يكتب؟

الـــــثالث : قل كيف يحسب؟!

(يخرجون ضاحكين والمغرب يزحف)

أحمـــــد : **(لمبروك)**

لدي شاي مفتخر

أتريد شايًا أم تفضل قهوة مصرية مضبوطة؟ يا سيدي مبروك

مـــــبروك : **(ضاحكًا)**! شكرًا ألف شكر!

(رجل يقوم من على المقهى، ويخرج من أحد الدروب ومعه رجلان)

الـــــرجال : مسيتَ بالخيرات يا مبروك

مـــــبروك : مسيتم بخير

جـــــان : **(لنفسه)** وأنا؟ ألا أحد يوجه لي كلامًا، أو سلامًا؟؟

أنا يا صحابي لست صاحب ذلك الإعلان

لو أن صفقة ذلك الصحفي من تكساس تمت ما قعدت هنا ليوم واحد

مـــــبروك : من ذلك الصحفي من تكساس؟

جـــــان : مَنْ؟ أنسيتهُ هو صاحب اللاكي سترايك أتتذوقها؟

مـــــبروك : أنا لا أدخن

(جان يشعل سيجارة وينفث دخانها)

obeikandl.com

جـــــان : هو من يريد شراء بيتي، هل ذكرته!

إني حكيت لك الحكاية مرتين

مـــــبروك : وبكم إذًا ستبيعه يا جان كل شقاء عمرك؟

جـــــان : وبكم تظن؟

مـــــبروك : بألف دولار؟

جـــــان : لا! بل بخمسة آلاف دولار.. ونصف!

مـــــبروك : لكن بيتك ليس قصرًا

جـــــان : عجبًا.. أيدهشك الثمن؟

لكنني أنا فيه أضخم من أخي لا كوست في أبهاء قصره!

أم يا ترى كم يرتضي الإنسان من ثمن لكل شقاء عمرهْ!

مـــــبروك : الموت يا جان العجوز

(يحاول أن يخرج من جيبه منشورًا يلصقه على الإعلان، فيراه جان)

جـــــان : مبروك، هذا لا يجوز!

احذر، فقد حاولت هذا في الصباح، فلم توفقْ

ولئن رجعت فأنت تدفعني إلى مالا أريد!!

عدني بأنك لن تحاول

أنا لست يا مبروك بالرجل المغفل

أنا لا يغافلني الذين يغافلون الآخرينْ حتى النساءْ..

مـــــبروك : **(كالمداعب)** لكن نساءكم يغافلن الرجال الأذكياءْ

جـــــان : أنا؟ لا! فلي امرأة أطالع سرها وأنا بعيد

obeikandl.com

حسناء.. لكن لا تحيدْ

وتكاد يا مبروك يا ولدي لشدة هيبتي

تقعى أمام ملابسي في غيبتي

مـــــبروك : **(ضاحكًا)** أتحبها؟

جـــــان : عاشرتها عشرين عامًا يا بني؟

ماذا ستحمل في الجوانح بعد عمر مثل هذا؟!

هـــــارون : **(لنفسه)** هارون، من مبروك هذا؟ من يكون؟ وكيف جاء؟

إني لأذكر أن منظره أليف لي!

(بصوت مرتفع وهو يضع الصحيفة التي كان يقرأ فيها)

أسمعت يا بوحريد أخبار الوباء؟!

مصـــطفى : سمعتها.. لكنها كذب وتزييف

هـــــارون : وكيف؟

أحمـــــد : أجل، هراء

هـــــارون : أنا واثق منها

مصـــطفى : وكيف وثقت أنت؟ أأنت جئت من الوباءْ؟!

أحمـــــد : هارون قم من قهوتي، أو كف عن نشر الإشاعه..

هـــــارون : ليست إشاعات، ولكني سمعت من الإذاعه

وقرأت في صحف المساءْ

أحمـــــد : **(بضيق)**

هذا كلام فارغ من أصله وأنا أقول لك الحكاية كلها

مصـــطفى : يا أحمد المصري، لا تأبه به!

هـــارون : فلنسأل الشاويش

أحمـــــد : سل أنت، رح له! أما أنا فملافظي لا تـتحمل ملافظهْ

(أذان المغرب، ومصطفى وأحمد يتبادلان نظرات ذات مغزى خاص)

مصـــطفى : هذا أذان المغرب الله أكبر

(هارون ينهض ويتجه إلى الشاويش)

هـــارون : يا سيدي الشاويش، ما خبر الوباء؟

(يمر ولدان.. أحدهما يقرأ الإعلان فيشده ليمزقه، جان يهب منتفضًا)

جـــان : لا يا ولد! لا يا ولد!

الـــولد : **(وهو يجري)** فلترحلوا عن الجزائر..

زمـــيله : ما عاش من سلم جاسر

جـــان : إني لأعجب في بلادكم الغريبة للصغار!

مـــبروك : **(لجان)** لكنهمْ ليسوا صغارًا بعد.. إنهم كبار!

جـــان : **(صارخًا للولد الآخر)** يا عفريت.. اذهبْ!

مـــبروك : **(مسترسلاً)** أيظل طفلاً من تعذب!

مصـــــطفى : **(مهمهمًا)**

يا رب، فلترجع أمينة سالمه

إني ليزعجني السكون! متى يدوي الانفجارْ

متى؟ لقد راح النهارْ؟

هـــــارون : يا مصطفى، أنا لست أفهم يا أخي لم أنت مبهمْ؟

فيم تهمهم دائمًا.. فيم تهمهم؟

لم لا تقوم لكي تصلي هل سهوت عن الصلاةِ؟

مصـــــطفى : ماذا يهمك أنت.. هل تحصي عليّ تحركاتي

يا ابن المرابية الجميله؟

أحمـــــد : بل نحن نعجب منك يا هارون، كيف تعول أهلك؟

وأراك طول اليوم منحطًا على المقهى بثقلك؟

من أين تأكل يا أخي؟ من عندهم؟ أم يا ترى من إرث أمك؟

(صوت انفجار مفاجئ يدوي من بعيد)

جـــــان : صوت انفجار

هـــــارون : صوت انفجار ذخيره

مـــــبروك : من أين هذا الانفجارْ؟

(يقترب من مصطفى وأحمد المصري بينما يصعد جان متأملاً)

هـــــارون : **(هامسًا مهمومًا)** أتراهمُ نسفوا القطار بما عليه من الذخائر؟

جـــــان : **(لنفسه)** هو جاسر لا ريب، ذئب القصبة الشرس المغامر؟

مـــــبروك : **(من مكانه)** ماذا ترى يا جان؟

جـــــان : قد نسفوا المحطة! هل عميتَ؟ أما ترى سحب الدخان!؟

هـــــارون : أتظنهم نسفوا المحطة كلها؟

أحمـــــد : **(لمصطفى بفرح)** نسفت قطارات الذخيرة؟ فليعش عمار!

جـــــان : لم كل هذا؟! هل لهاتيك المآسي من ختام؟؟

هم هكذا في كل يوم عندما يأتي المساء

الأرض تغمرها الدماء! هل ذاك ما يرضي المسيح؟؟

(بأسف)

تلك الذخائر

كانت ستنجد جيشنا المحصور في جبل الـ.. نسيت اسم الجبل!

مـــــبروك : **(مقاطعًا باستخفاف)** في أحد الجبال! ماذا يهم اسم الجبل؟

جـــــان : من ذا يدبر كل هذا، بعد أن قبضوا على زعمائهمْ؟

مـــــبروك : **(مشيرًا إلى اسم جاسر في الإعلان)** هذا البطل

جـــــان : لو قلت هذا يا غبي أمام غيري ما سلمت!

أنا لا أحب جميع هذا يا إلهي!

مـــــبروك : **(لنفسه)** لا تحبه؟

(يدخل عمار من أحد الدروب شاحبًا مضطربًا.. ويهوي بسرعة بجوار مصطفى بوحريد.. مبروك يلتفت إليه مستطلعًا)

عمـــــار : الصفقة الكبرى انتهت، والكل في خير

مـــــبروك : **(لنفسه)** عظيم

obeikandl.com

مصـــطفى : **(لعمار)** لم أنت مضطرب إذًا؟

هـــارون : **(يقبل عليه)** عمار، ما بك؟ هل جرحت؟

مصـــطفى : وما به؟

هـــارون : أو لم تلاحظ وجهه وشحوبه؟

أحمـــد : فيم انشغالك يا أخي بشحوبهِ؟

أمَّا برود لم أشاهد مثله أبدًا ولم أسمع بشيء مثلهِ!

هـــارون : **(يتجه إلى عمار بحنان)** قل يا أخي عمار ما بك؟ ما أصابك؟

أحمـــد : **(لهارون الذي يحاول أن يتحسس عمار)** هارون! ارجع يا ولد

هـــارون : مهلاً! أتحسبني صبيًّا في محلك؟

أحمـــد : **(يدفع هارون)** قلت ابتعد

(يعانق عمار) يا مرحبًا بك يا أخي عمار.. أهلاً!

عمـــار : مرحبًا بك ألديك ماء؟

أحمـــد : ماء ورد! **(يذهب إلى المقهى مسرعًا ليعود بكوب ماء)**

جـــان : **(ينظر إلى عمار)** ما باله هذا الفتى؟

مـــبروك : ما باله؟

جـــان : لكأن كل دمائه غاضت! تأمل كيف يشحب لونه!

مـــبروك : لم لا؟! أليس الفقر يستل الدماء من العروق!؟

جـــان : مبروك، لا تشغل بأفكار كتلك

وافرغ إلى العمل الذي يعطيك خبزك

(جان يتمشى إلى أحد الدروب، وهو يحسب أن مبروك وراءه)

obeikandl.com

مصـــطفى : **(لعمار بضيق)** قم

(مبروك يتجه إلى عمار ويتظاهر بتثبيت الإعلانات على الحائط)

مـــبروك : **(لعمار)** ماذا دهاك؟!

عمـــار : أنا لم أخض من قبل معركة الطريق! كانت مخاطرة فظيعه

مـــبروك : بل قل مغامرة بديعةْ

عمـــار : أنا لا أراك! ولست أسمع أي صوت ما سوى رجع الزلازل!

أنا لا أرى إلا الدخان الآن والأشلاء..

مصـــطفى : **(مقاطعًا برفق)** حـبك يا بني!

اذهب تصاحبك السلامه! ولتنم

فـتـستريح إذا هجعت إلى فراشك.. قم ونم

عمـــار : أنا أستريح!! وكيف؟!

مصـــطفى : **(يربِّت على كتفه ويدفعه برفق)**

مـــبروك : أزجي إليك تهانئي باسم الجميع والآن قم

عمـــار : السلام عليكم.. **(ينصرف)**

مصـــطفى : **(لنفسه وهو يراه منصرفًا)** هذا البريء العبقري!!

مـــبروك : **(بسرعة)** سلم أمينة ما لديك جميعُه

مصـــطفى : لكنما النشرات قد حزمتْ لها في ربطتين كبيرتين

مـــبروك : وإذًا، فسلمها الأمانة دفعتين

مصـــطفى : قد كان أولى أن تكون أمينة رجلاً وعمار فتاه!

أستغفر الله العظيم!

مـــــبروك : هو ما يزال الشاعر القديس يرهقه تراب المعركةْ

مصـــــطفى : هذا صحيح.. فالمعارك شائكةْ

(يقبل جان فيرى مبروك وهو يهمس لبوحريد)

جـــــان : **(يصرخ)** مبروك.. يا مبروك.. ويحك أين أنت؟

مـــــبروك : أنا ذا...

جـــــان : **(بلهجة آمرة مفاجئة)**

تعال هنا.. وقل لي أين كنت!

أو لست تعرف أن هذا لا يجوز!!

أترى يشوقك أن تكون نزيل قلعة بربا روسة؟!

مـــــبروك : بالطبع لا! لا يا عجوز!

جـــــان : **(في غضب مفاجئ لهيبته)** أنا لا أخاطَب هكذا

مـــــبروك : ماذا دهاك؟

جـــــان : هب ضابطًا ما جاء ثم رآك مرتميًا هناك؟

مـــــبروك : قل أنت يا شاويش

جـــــان : سوف يعاقب الشاويش نفسه!

مـــــبروك : أتخاف؟

جـــــان : يا مبروك، كلمني بأسلوب مهذب! أنسيت من أنا؟!

مـــــبروك : كدت أنسى!

لما رأيتك أيها الشاويش تُفضي لي بضعفك منذ حين!

جـــــان : ضعفي؟! تأدب!.. أنا لا أخاطَب هكذا

obeikandl.com

مـــــبروك : **(مستمرًا)** لكن شيئًا ما سيبقى بيننا شيء فظيع ليس ينسى
فأنا من البلد الشهيد! وأنت؟ رب من فرنسا!

جـــــان : **(مهتزًا من كلام مبروك)** لا تهذ بعد.. وعد إلى العمل الذي يعطيك قوتك

مـــــبروك : تعني الفتات..

جـــــان : الصق هنا.. **(مشيرًا إلى المقهى)**

أحمـــــد : ابعد عن المقهى فقد شوهته بالملصقات

(جان يقعد على كرسي من المقهى ثم ينادي بتؤدة)

جـــــان : مبروك، اسمع يا بني! ألا ترى أن الفضاء يشف في هذا السكون؟
الليل يهبط والظلام! لكنه ليس السلام!
اسمع لأصوات المساء للصمت وسوسة رهيبه!!
لم لا تكلمني.. تكلم يا بني..
مبروك إلا أنت! لا تصمت! فصمتك لا يطاق!

مـــــبروك : بل أنت تأمرني فأفعل ما تريد بلا مزيد فما تريد؟

جـــــان : مبروك... لست أنا عدوك!
يا أيها المجنون، لست أنا عدوك!
لم لا تكلمني كما يتكلم الإنسان للإنسان!

مـــــبروك : بل ليس ما بيني وبينك يا عجوز هو الكلام

جـــــان : **(برقة وحزن)** أهو الخصام!

مـــــبروك : مهما يكن يا جان من أمر؛ فليس هو السلام!

obeikandl.com

جـــــان : حقًا، فليس هو السلام! ياليته كان السلام!

مـــــبروك : **(لجان من بعيد)** ماذا ترى أذناك تلتقطان من هذا السكون؟

إلا صليل القيد من خطواتنا؟

إلا صدى الأنات من أعماقنا؟

جـــــان : مبروك، لا تنظر إليّ بكل هذا الكبرياء

أنا لست إلا حارسك!

وغدًا سأحرس عاملاً ما في مكان ما سواك!

مبروك، لست أنا الذي يغتالكم في أرضكم!

مـــــبروك : أو لم تكن من قبل سجانًا تعذب من تشاء؟

أو لم يكن هذا العذاب وسيلتك؟

لتنال ترقية وتظفر بالرضا ممن يعيب كفاءتك؟

جـــــان : إني لأقسم بالمسيح، بكل آلام المسيح

أنا لم أعذبهم هنا وليَ الخيار

مـــــبروك : أنا لست أفهم بعد هذا الاضطرار

أيعذبونك أنت أيضًا لو رفضت أو امتنعت؟

جـــــان : دعني أقل لك: إنني وسط الأنين قد اكتشفت حقيقتي، أجل اكتشفت حقيقتي وسط الأنينْ

حيث الرجال الصامدون.. يُعذَّبون، فيرفضونْ هم يرفضون الشر والمأساة والألم المبرح، والقضاء هم يرفضون بلا تردد!

وهناك حيث يعربد الجاني على جسد الضحيهْ

وتحمُّل الإنسان للآلام فوق تصور العقل المحدود

حيث الدماء تسيل من بدن المعذب في إباء

وبلا توجعْ أو تضرعْ

وهناك في برج الفظائع والفجيعة والمآسي البربريهْ

في ذلك السجن الذي قد كان قلعة بربارسوسهْ حامي المسيح حيث المسيح يعود يصلب من جديد كل يوم ألف مرهْ

وهناك في هذا السعير.. أنا اكتشفت حقيقتي وخديعتي!!

مـــــبروك : **(باهتمام)** ماذا اكتشفت هناك في هذا السعير؟

جـــــان : أني السجين أني أسيرٌ مستباحٌ، مهدرٌ، وبلا ضميرْ

أني حقير مستذل لا بطلْ أني أعيش بلا إرادهْ!

مـــــبروك : من أجل ذلك أنت جندي تدلله القياده؟

جـــــان : **"مستمرًّا"** وهناك كم ساءلت نفسي وسط أنفاس الضحايا وعيونهم ترنو كأن بها شواظًا من دماء:

هل ذاك ما يرضي السماء؟ هل ذاك ما يرضي المسيح؟

وإذا الجواب هناك مسطور على تلك الوجوه

في صمتها ذاك الكريهْ

في رفضها القاسي ونظرتها المحجرة الجسورْ، كحطام بركان يثورْ وكأنما هي لعنة تنصب فوق رؤوسنا وقلوبنا

نحن الذين تكاد تغرقنا الخطايا كلنا

(منهارًا)

أواه إن الحاجة استولت عليّ ودمرت روحي فصرت بلا ضمير!

مـــــــبروك : وإذا أعِدتَ غدًا إلى تلك الوظيفة.. كيف تصنعْ؟
هب أنهم منحوك ترقية لترجعْ....

جـــــــان : **(يقاطعه بحزن عظيم)**
أعرفت معنى أن تجوع صغيرة لك
حين لا ذكرى لديك ولا طعام ولا أمل؟
أعرفت هذا اليأس يومًا؟! هل عرفته؟!
ألديك أطفال صغار وامرأه
ومرارة السن التي تتجاوز الخمسين في عمر يضيع
بلا ضمان أو أمان وبلا ابتسام أو دموع؟!

مـــــــبروك : لو أنهم منحوك ترقية لترجع، ما ملكت سوى الرجوع!
ولعدت تصنع كل أنواع البشاعة يا رجل!
ولبعت كل مقدساتك وقتها باسم الضمان أو الأمان!
وظللت تصرخ بعدها: أنا ضائع وبلا ضمير!
أنا الذليل.. أنا الحقير!

جـــــــان : لا لا! كفى! أنا قلت لا! لا أستطيع

مـــــــبروك : الحاجة امتلكت قلوب الناس تَجْتَثُّ الفضائل كلها من جذرها

جـــــــان : الحاجة العمياء والقلق المبرح والمطامع والدنسْ!
مع كل ذلك، فالفضيلة ما تزال حقيقة لم تنطمسْ!
مع كل ذلك، ليس حتمًا أن يخون المرء خير مشاعره
ليعيش منبوذًا
تطارده خديعة حاضره

obeikandl.com

يقتات من خبز الندمْ

لا يا صديقي.. لم تزل في هذه الدنيا قيمْ

(يخرج من أحد الدروب ووراءه مبروك.. وكان قد دخل أثناء كلامه رجل يضيء الفوانيس)

(الرجل الذي يضيء الفوانيس يتأمل الإعلان ويفكر.. وهو ينظر فيمن حوله)

أحمـــــد : **(يهمس للرجل)**

يا عم رح.. ماذا تدبرْ؟

رح إنهم لا يعرضون سوى نقود زائفات.. لا تفكرْ!

(الرجل يضيء فانوس الشارع ويخرج في خجل، بينما تقبل أمينة من صدر المسرح وعليها العباءة الوطنية، ثم تتجه إلى دكان مصطفى بوحريد فيسرع هارون الذي كان يتجول هنا وهناك ليتحرش بها)

هـــــارون : أهلاً أمينة!

أميـــــنة : أنا ـ يا معاذ الله ـ لم أعثر بمثلك في المدينة

هـــــارون : **(بلا مبالاة وبإلحاح)**

لِمَ تلبسين عباءة؟ من أين جئت بها؟! أرحت بهذه للمدرسة؟

أميـــــنة : رح يا سخيف

هـــــارون : **(يضحك بثقل)** ها.. ها.. وأين إذًا جميله!

أحمـــــد : يا ابن الثقيله!

هـــــارون : **(غاضبًا)** أنا يا أخي، عندي لها شيء يقال

أحمـــــد : **(يجذبه من قفاه ويشده ناحية القهوة)**

لتقله لي أنا.. قل كلامك للرجال

هـــارون : **(وقد بوغت بحركة أحمد أمام الفتاة يقول متلعثمًا في احتجاج)**

ما.. ما..

أحمـــــد : أنا لا أحب المأمأة؟

إني لأقسم بالطلاق، لئن رجعت لمثلها فلسوف تضرب بالنعال حتى تقول أنا امرأة؟

مصـــطفى : (لأمينة) هو ذا الحرير لكن تعالي بعد حينٍ فلدي ثوب آخر

(يعطيها ربطة كبيرة فتخفيها تحت عباءتها الوطنية وتخرج مسرعة من أحد الدروب)

هـــارون : هذا الفتى مبروك من هو؟

أحمـــــد : فرخ جان!

هـــارون : من أين جاء؟ وكيف جاء؟

من أي أنحاء الجزائر من أي داهية وقع؟

أحمـــــد : قل من جهنم يا لكع!

من طور سيناء، من الأعراف، من أقصى السماء السابعة!

(ثم ملتفتًا إلى مصطفى كمن يستنجد به من إلحاح هارون)

يا مصطفى، أرأيت إنسانًا لحوحًا مثل هذا طول عمرك؟

هـــارون : أو لم يثر هذا الفتى مبروك فيكم أي شك؟

أحمـــــد : لو شُك قلبك لاسترحنا من شكوكك للأبد؟

obeikandl.com

مصـــــطفى : **(من مكانه)** ماذا يثير شكوك كلب الصيد؟

(متطلعًا إلى مدخل القصبة، وصوت أقدام عسكرية تقترب)

أحمـــــــد : شش... دبيب أقدام العساكر

(تمتد يد من أحد الدروب فتقذف بمنشورات تملأ الأرض)

(يدخل ضابطان من الصدر أحدهما فرنسي من المظليين واسمه بيير والآخر ألماني من اللفيف الأجنبي واسمه فريتز...)

بـــــــيير : **(بخفة وهو يشير إلى إعلان المكافأة بإغراء)**

أترون؟ مليون لرأس واحدٍ!

فريتـــــــز : **(هامسًا)** كم ذا تساوي رأس قائدنا إذًا؟

بـــــــيير : ثمن الرصاصة يا فريتز أم كم تظن؟

ثمن الرصاصة ليس غير!

فريتـــــــز : **(يلتقط منشورًا ويقرأه)**

المـــــلازم : يا سيدي الماجور بيير!

بـــــــيير : عد أنت.. اذهب بالجنود

فريتـــــــز : أقرأت هذا؟

(يعطيه المنشور)

بـــــــيير : **(يقرأ المنشور)** يا أيها الشعب الأمين اضرب غدًا

فليضرب التجار والعمال والطلاب منذ غد

فريتـــــــز : **(يعطيه منشورًا آخر)** اقرأه أيضًا يا بيير

بـــــــيير : **(يقرأ)** فلترحلوا عن الجزائر ما عاش من سلم جاسر!

(يرميه قائلاً بخفة) مهما يكن فسيضعفونْ

سيقاومون إلى مدى، ويسلمون

فريتـــــــز : أتظن هذا؟

بـــــــيير : إنه بلد فقير يلعق الدم من جراحه!

وأمام مليون كهذا لا اتحاد ولا فضائل

فريتـــــــز : لكنه بلد رهيب في كفاحه!

(شيئًا فشيئًا يدخل من الدروب الجانبية رجال جزائريون بملابسهم الوطنية وينتشرون)

فريتـــــــز : **(مأخوذًا)** اسمع... لماذا لا نعود؟

بـــــــيير : أنعود؟ كيف؟!

فريتـــــــز : أتظنهم سيسلمونك جاريه؟! أو رأس قائدهم هديهْ!

بـــــــيير : يا أيها الألمان، أنتم هكذا: متحجرون!

فريتـــــــز : أنا لست أفهم، كيف جئت بنا إلى هذا المكان!

أنا كيف جئت؟

بـــــــيير : سأظل أبحث عن غريمي هاهنا فإذا فشلت

فأنا سأرجع دون ريب ما بصيد ما، بمال أو بأنثى باهرهْ

بمتاع ليل كامل!

فريتـــــــز : (بسخط) تلك الليالي الداعرهْ ستكون فاحشة الثمن؛

فلقد تكلفنا الحياة بأسرها ثمنًا لها!

(يمشي بيير بين الرجال)

oberkanal.com

بـــــــيير : انظر إلى أبطالك الأبرار عجف كالعصى!

(يمسك بواحد) قل أنت، قل يا عبقري

ألديك أنثى أو حشيش! قل يا غبي

(الرجل لا يجيب)

بـــــــيير : **(متجهًا إلى مصطفى بوحريد الجالس أمام دكانه)**. هيه! أنت! قف!

مصـــــطفى : **(يقف)** قل، لا تخف ماذا تريد؟

بـــــــيير : **(مستخفًا)** أأنا أخافك؟!

مصـــــطفى : الخوف يحرس كل إنسان هنا حتى الشجاع!

بـــــــيير : قل يا رجل

مصـــــطفى : ماذا تريد من الرجل

(بيير يتأمل الحرير المعلق على دكانه)

بـــــــيير : هذا حرير رائع.. فبكم تبيع المتر منه؟

مصـــــطفى : هو لا يباع

بـــــــيير : **(ساخرًا)** مولاي يا ملك الحرير!

مصـــــطفى : يا سيدي.. أنا لا مليك أو أميرٌ وإنما عبد فقيرْ

بـــــــيير : **(مغيرًا لهجته)** قل لي أتطمع في مزيد من ذهبْ؟

مصـــــطفى : وبم سينفعني الذهب؟ أيضيء قبري؟ هل يخفف من ذنوبي؟ هل...

بـــــــيير : **"متحديًا"** قل: أين جاسر؟

في أي هاتيك الجحور السود مخبأ جاسر؟

opeikanalic.com

مصـــطفى : **(بهدوء)**

لو كان سهلاً أن يُنال فتى كجاسر بالسؤال العابر

يا سيدي الماجور ما رصدت مكافأة لرأسه!

بـــــيير : إني لأعجب بالذكي وأنحني لجلال بأسه!

مصـــطفى : لا ينحني الإنسان للإنسان!!

بـــــيير : **(بصوت مرتفع)** هذا الشيخ معقول وطيب

(يهمس له) لم لا تطاوعني لتكـــبْ؟

ألديك..؟ **(يشير إليه بيديه إشارة تدل على جسم امرأة)**

مصـــطفى : ماذا؟ هكذا؟!

(يقلد إشارته فيضحك الجزائريون الذين يملأون المسرح الآن بثيابهم الوطنية)

بـــــيير : **(متحرجًا)**

أو لاَ... وكيف؟ ألست تفهمْ!

(يعيد الإشارة)

أنا لا أريد سوى فتاة مسلمهْ؟

مصـــطفى : لِمَ؟... للزواج؟ فذا محرم

بـــــيير : بل للصداقة.. أو لتعمل خادمه

إني ليعجبني النساء المسلمات!

مصـــطفى : ومتى حصلت على فتاة من هنا حتى اغتصابًا؟

اذهب إلى الشانزيلزيه تجدْ النساء على الرصيف مكومات!

(ضجة استحسان وضحك)

obeikandl.com

فريتـــــز : أسمعتَ هذا يا بيير؟

بـــــيير : **(محنقًا منقضًّا على مصطفى)** قل ما اسمك؟

مصـــطفى : **(ببساطة)** اسمي أنا؟! أنا عبد ربي..

بـــــيير : أرني بطاقتك

مصـــطفى : **(يفتش عنها)** البطاقة؟! هاكها..

(يناوله بطاقته) خذها، ولكن لا تضعها

بـــــيير : هل أنت أبله؟

مصـــطفى : لا.. لست أبله لكنما أنا تاجر، بي حرص تاجر
وأنا أعامل ضابطًا من بين حامية الجزائر

(فريتز يقلب القماش)

فريتـــــز : المترْ من هذا بكمْ؟

(بيير يفحص البطاقة، ومصطفى عيناه على بيير)

مصـــطفى : **(لا يرد)**

فريتـــــز : يا أيها الشيخ، التفت

مصـــطفى : أنا لا أبيع الآن

فريتـــــز : كيف؟! سأشتريه بما أردتْ

مصـــطفى : أنا لم أرد شيئًا سوى ألا أبيعَ، فما تريدُ الآن أنتْ؟!

هـــارون : لكنما الإضراب في الغد فلتبعه الآن

مصـــطفى : لا

بـــــيير : هل أنت مضربْ؟

obeikandl.com

مصـــطفى : أفرغت من فحص البطاقة؟ هاتها

"يأخذها"

بـــــيير : هل أنت مضربْ؟

مصـــطفى : يا سيدي، أنا بالصراحة **لا** أبيع لضباط أبدًا

فريتـــــز : وكيف؟

مصـــطفى : لأنهم لا يدفعونْ

فريتـــــز : لا! لا تخفْ إني سأدفع فاطمئن

فبكم تبيع المتر؟ قل، واخصم لنا نصف الثمنْ

هـــارون : يا مصطفى، لم يبدأ الإضراب

أحمـــد : **(يمسك هارون)** هس! اخرس يا نجس!

(يلطم هارون)

هـــارون : **(لأحمد)** أتهينُ خلقة ربنا

أحمـــد : **(هازئًا)** لا والنبي ادخلْ علينا كلنا!

بـــــيير : **(لفريتز)** لم قلت إنك سوف تدفع يا غبي؟

فريتـــــز : **(يقلب القماش)** هذا بديع الذوق!

بـــــيير : لو شقراء تلبسه!

فريتـــــز : سآخذه لسيمون

بـــــيير : **(متعجبًا)** سيمون؟!

أتظنها تهواك! اصح! فإن راقصة كسيمون عصيهْ

فريتـــــز : ولمنْ ترى من محظياتك تشتري يادون جوان من السعيدهْ

obeikandl.com

بـــــــيير : هذا لصاحبة جديده سمراء فاتنة شهيهْ

والسِّحْرُ أسمر لكنها...

فريتـــــــز : طبعًا... عصيّه إلا عليكْ

(ينصرفان شيئًا فشيئًا إلى الحديث، بينما مصطفى يغلق الدكان)

بـــــــيير : حتى عليه

فريتـــــــز : أتكون أرمل واحد من فرقتك؟

بـــــــيير : هي بعد ليـــت أرملهْ

لكنها امرأة معقدة تربت في كنيسه

فريتـــــــز : ومن الفريسه؟

بـــــــيير : هي زوجة الشاويش.. ما اسمه؟.. ذلك الشاويش جان؟

فريتـــــــز : يا سيدي، اترك زوجة الرجل الفقير لحالها! لا تغرها..!

فالثوب من هذا يساوي ضعف راتب زوجها

بـــــــيير : سيكون أول ما أقدم من هدايا!

فريتـــــــز : مسكينة هي!

بـــــــيير : لا يليق بها سوى هذا الحرير!

وفراشها أولى به من ذلك الشاويش ماجور خطير

مصـــــطفى : **(ببساطة)** أغلقت دكاني

بـــــــيير: (لمصطفى) يأيها الشيخ المخرف، هل جننت؟ ماذا صنعت؟

مصـــــطفى : (ببساطة) أغلقت دكاني

فـــــــريتر : وكيف؟

مصـــــطفى : لأنني رجل مجرب

obeikandl.com

فريتـــــز : افتح

مصـــطفى : عجبًا؟ أأفتحه لينهب؟

بـــــيير : **(بغطرسة)** فلتفتح الدكان

مصـــطفى : **(بثبات)** كلا!

بـــــيير : **(ثائرًا)** افتح وإلا...

مصـــطفى : هل ذاك إنذار؟

بـــــيير : نعم

مصـــطفى : اسرق إذا شئت المحل..

فريتـــــز : لا يا بيير.. كفى!

(يفتح بيير الدكان بالقوة، ويختطف بعض قطع الثياب المعلقة)

مصـــطفى : وبعد؟

بـــــيير : **(يشهر مسدسه)** إذا تحرك منكم أحدٌ قتل

فريتـــــز : بيير! في هذا الكفاية! فلننصرف

بـــــيير : هيا بنا

مصـــطفى : **(ساخرًا)** أوَ هكذا؟ فلتنصرف!

بـــــيير : بونسوار.. السلامُ عليكمُ..

أسعدت مساء أنت يا شيخ العربْ!

مصـــطفى : **(معترضًا طريقهما في تحدٍّ)**

فلتدفعا ثمن القماش أو اتركاه

بـــــيير : أتريد إحداث الشغب؟

obeikandl.com

(الناس يهمهمون وبعضهم يصيح لا.. لا ! فيدخل جان من أحد الدروب الجانبية على الضجة المرتفعة)

جـــــان : يا قوم، ما هذا الضجيج فيم اجتمعتم كلكمْ؟

(يتقدم من بيير) ما كل هاتيك الثياب؟

أوه يا سيدي، أعد الثياب...

بـــــيير : عجبًا بأية جرأة يا أيها الشاويش تصنع مثل هذا؟

جئني غدًا في مكتبي بجناح ضباط المظلات

جـــــان : غدًا؟

بـــــيير : **(لفريتز)** لم يبق إلا زوجها أيضًا؟! أيرفع رأسه؟

(ثم لجان) لو كنت تعرف أين يذهب ذلك الثوب الجميل لما اعترضت!

جـــــان : ولمن يكون؟... لمن يكون سوى لإحدى الضائعات! مهما يكن فأعده...

(تدخل أمينة بملابسها الوطنية ووراءها جميلة بثيابها المدرسية)

هـــــارون : أهلاً أمينة. يا مرحبًا. أهلاً جميله!

بـــــيير : **(منتبهًا وهو يلحظها)** ماذا؟ فتاه

فريتـــــز : بل اثنتان!

بـــــيير : أو لاّ لاّ لا! أرأيت هذا الحظ كله؟

(متقدمًا نحو الفتاتين)

أقبلتما بالضبط في الوقت المناسب بعد ما

كنا يئسنا من وجود المسلمات

مصـــــطفى : **(للبنتين مقاطعًا)** تقدما.. سيرا إلى بيتيكما

بـــــــيير : **(لجميلة)** لم تختفين وراءها؟ أنا لست عفريتًا يخيفك!

أميـــــــنة : ماذا تريد؟

بـــــــيير : **(لأمينة وهو يشد على كتف فريتز)**

أنا لا أريدك أنت.. خذها من نصيبك

(متقدمًا إلى جميلة مغازلاً)

وتقدمي يا هذه السمراء سوف أكون صاحبك العزيز

لِمَ تخبئين وراء كتبك كل هاتيك الكنوز؟ السحر أسمر!

جمـــــيلة : (بذعر) ماذا تريد؟ لتبتعدْ

أميـــــــنة : **(صارخة وهي تدفعه هو وفريتز)**

فلتفسحا هذا الطريق لكي نمر معًا

(تفتح أمها باب الشرفة وتقف فيها ووراءها ابنها الصغير)

الأم : **(في جزع)**

بنتي أمينة؟

أميـــــــنة : لا تجزعي.. قد جاء قطاع الطريق

لكنهم لن يقطعوا أبدًا طريق حياتنا

جمـــــيلة : **(مستغيثة)** يا خالتي.. زحف الجراد!

أحمـــــــد : ظهر الفساد!

أم أميـــــنة : يا للرجال.. ألا يخلص منكمُ بنتي أحد!

مصـــــطفى : لا تصرخي ستعود سالمة إليك

obeikandl.com

ولا تجيئي هاهنا وسط الأجانب

أحمـــــد : إيه.. قل العقارب

أميـــــنة : **(من الشرفة)** أين المسدس يا جميلة.. هل أتيت به معك!

فريتـــــز : **(وحده)** وأنا كذلك كان لعبتي المسدس في الطفوله!

جميـــــلة : **(لفريتز)** يا سيدي! الله يستركم، دعونا

أحمـــــد : فلتتركا البنتين

مصـــطفى : يا أحمد، اسمع! اسمعوا **"لبيير"** أنا ذاك بوحريد يقول

الـــــرجال : ماذا يقول؟ ليقل لنا بوحريد..

مصـــطفى : بوحريد يقول:

الظالم الباغي تدور به الدوائر

ولسوف نجلي الظالمين عن الجزائر

(ضجة استحسان)

بـــــيير : **(لجان)** يا أيها الجاويش، خذ هذا إلى البوليس متهمًا بقتلي

جـــــان : هل قتلت!

فريتـــــز : نفذ أوامره؟ أتفهم يا غبي!

بـــــيير : هوذا يحرضهم عليّ!

جـــــان : أنا منذ عشر دقائق في راحتي

بـــــيير : في راحتك؟

جـــــان : **(مستمرًّا)** وأنا كذلك لست جنديا لديكم في اللفيف الأجنبي أو في المظليين

بـــــــيير : **(حنقًا)** تيس!

جـــــــان : لا! ليس من أدب التعامل أن توجه لي شتيمه

فريتـــــــز : هل أنت جندي؟ أتعرف أن رفضك...

جـــــــان : **(يقاطعه باستخفاف)** هه؟!

بـــــــيير : جريمة!

جـــــــان : إني لأعرف ما النظام العسكريّ من ثلث قرن يا بنيّ
من مثل عمرك أو يزيد

بـــــــيير : سترى غدًا ماذا يصيبك

جـــــــان : مهما يكن، فغد إجازة

مصـــــطفى : بل ما يصيبك في حياتك هذه إلا نصيبك

بـــــــيير : سنرى

جـــــــان : أجل سنرى ومن يعش الحياة ير الكثير
لكن أعد ثوب الحرير

بـــــــيير : بغل حقير!

فريتـــــــز : هيا بيير

بـــــــيير : **(لأمينة وجميلة)** وتفضلا معنا

(يتحرك بيير.. وهو يمد يده إلى أمينة وجميلة ويكاد يحيطها بذراعه عنوة، بينما الرجال يقفون دون الفتاتين في ثورة، وفجأة يظهر مبروك في صدر المسرح، ومعه مدفع رشاش يقتحم به ويقفز إلى حيث يقفان)

obeikandl.com

مـــــبروك : بل لن تبارح موضعك ستموت فيه ارفع يديك
وأنت أيضًا يا فريتز، ارفع يديك!

بـــــيير : **(يضطرب وتسقط الثياب من بين يديه ومن يدي فريتز)**
من أنت؟!

فريتـــــز : من؟!. من أين جئت!

مـــــبروك : من السماء!

جـــــان : مبروك! ماذا؟! هل جننت؟
من أين هذا المدفع الرشاش؟! كيف أتيت به؟

بـــــيير : **(منهارًا)** من أنت؟! من؟

مـــــبروك : أنا مصيرك...!

بـــــيير : **(في انهيار)** لا يا إلهي! أنت جاسر!
هو ذاك ذئب الكاسبا الشرس المغامر!

(همهمة بين الرجال)

الـــــرجال : قد جاء جاسر

(جان يطلق صفارته مستنجدًا)

بـــــيير : يا سيدي الشاويش، أطلق مرة أخرى صفيرك عاليا

مـــــبروك : قف أيها الشاويش جان.. لتقف هنا

(جان ينضم إلى الضابطين الواقفين)

مـــــبروك : **(لجان)** ارفع يديك

(يرفع جان يديه كالضابطين)

obeikandl.com

جـــــــان : مبروك، إنك طائش؟!

فريتـــــــز : دعه.. سيدفع رأسه ثمنًا للعبته الحقيرة!

مـــــبروك : رأسي أنا؟ رأس تساوي اليوم مليونا.. وها هو بينكم!
أسرع بيير فإنه أدنى إليك من الفتاة

أسرع فريتز ألا تراه؟

اقطعه يا جان المعذب أنت تحلم بالغنى!

جـــــــان : مبروك! لا! كيف انتحلت اسما كهذا؟ إنه عمل خطيرْ..
لا! لست جاسر! لستَ جاسر أنت مجنون كبير!

(صوت جنود قادمين من الخارج)

صـــــوت : من هاهنا ارتفع الصفير بالاستغاثة سيدي

صوت آخر : بل من هنا يا سيدي الكولونيل

"الرجال يستعدون ويخرج بعضهم خناجر ومُدًى تفتح بطريقة أوتوماتيكية فتلمع نصالها.. وبعضهم يخرج بنادق ومسدسات قديمة يستديرون جميعًا ناحية الصوت. ومبروك الذي اتضح الآن أنه هو جاسر يستدير أيضًا بحذر.. وإذ ذاك يشرع بيير مسدسه بسرعة فتلمحه أمينة وتنقض عليه فيقع المسدس على الأرض وقدم أمينة فوقه"

أميـــــــنة : **(صارخة)**

عبثًا تحاول! لن تنالوا رأسه أبدًا

الأم : **(تظهر من الباب وهي تصرخ)**

أمينة!

مصـــــطفى : (بحزم) لا تصرخي

(ثم لأمينة)

عودي إلى البيت! اصعدي! عودي لبيتك يا جميله

(الأم تعود بأمينة وتخرج جميلة مسرعة)

(يدخل عزام وهو ضابط شرطة جزائري ووراءه جنود الشرطة)

عـــــزام : ما كل هذا؟ هل تقوم هنا القيامة؟ أم عساكم تلعبون؟

بـــــيير : كولونيل عزام الصديق؟ تحيتي!

أو لاً..!! هبطت من السماء لنجدتي!

عـــــزام : ماذا؟ بيير؟ فريتز؟ ما أغباكما! لم ترفعان يديكما؟

هل تسألان الله شيئًا؟

بـــــيير : عزام، أنجدنا

عـــــزام : ماذا أتى بكما هنا في الليل في أمثال هاتيك الجحور؟

فريتـــــز : (مستعطفًا) عزام أنقذنا بربك! عاد جاسر!

عـــــزام : (للجميع بحسم) ألقوا السلاح جميعكم

ألقوه وامضوا من هنا!

أحمـــــد : وهما؟؟ فليلقيا قبل السلاح

عـــــزام : سلم سلاحك يا فريتز، وأنت أيضًا يا بيير

بـــــيير : أنا؟

عـــــزام : (همسًا) سأعيده لك بعد حين سلمه ذرًّا للرماد

كيلا تكون الآن فتنة

بـــــــيير : **(يشير إلى مسدسه الملقى على الأرض)** هو ذاك ملقى!

(الكل يلقى سلاحه.. ويبدأون في الانصراف)

عزام، شاركني مكافأة الشقي فأنا الذي استدرجتهُ

عـــــــزام : إن كان جاسر بينهم حقا.. فإنك عبقري

بـــــــيير : هو ذاك جاسر

جـــــــان : إني لأقسم أنه مبروك

عـــــــزام : هل أنت تضمن أنه مبروك؟

جـــــــان : إني لأقسم بالمسيح

عـــــــزام : **"هامسًا لبيير"** دعني أرتب كل شيء واطمئن

ولتذهبا، فهم جميعًا هاهنا متحفزون

ستكون مجزرة نبادُ بها جميعًا يا بيير

إنا قليلٌ هاهنا وهم كثير

إني أنا أدرى بهاتيك الجحور

قد يسحق البطل الفرنسي الموقر هاهنا مثل الذبابةْ

وتلطخ الأوحال تيجان المهابةْ!

اذهب ودع لي كل شيء واطمئن والآن عودا في سلام

وسنلتقي في حان سيمون العزيزة بعد حين

فريتـــــــز : في حان سيمون العزيزه!

(بيير يمد يده ليأخذ الثوب وهو ينصرف)

جـــــــان : يا سيدي، دع ذلك الثوب الذي خلق المشاكل كلها

obeikandl.com

يا مصطفى بوحريد، خذه..

(يبادر هو فيأخذه ويناوله لمصطفى)

عـــــزام : **(لجنوده)** سيروا وراء الضابطين

(جان يتهيأ الآن للخروج، بيير وفريتز يقفان في مدخل المسرح)

بـــــيير : **(لعزام)** شكرًا

(ثم يستدير مهددًا الموجودين)

إني سأهدم هذه الكاسبا عليكم ذات يوم

إني سأهدمها عليكم في غد أو بعد غد!

فلتدفعوا ثمن التمرد!

(يخرجان ووراءهما الجنود)

عـــــزام : والآن أقبل أنت يا...

جـــــان : يا سيدي، أيكون هذا جاسر إني لأقسم أنه مبروك!

عـــــزام : أنت على صواب هو ذلك المخبول مبروك

جـــــان : أجل.. أجننت يا مبروك؟.. ويحك!! سوف تسجن!

(ثم لنفسه) لو أن هذا كان جاسرْ لقتلته عن طيب خاطرْ

عـــــزام : **(لبعض جزائريين مازالوا واقفين)** هيا اذهبوا

(يخرجون مسرعين من الدروب الجانبية)

عـــــزام : **(لأحمد ومصطفى)** ولتغلقا الدكان والمقهى.. هيا

(أحمد يغلق عليه المقهى ومصطفى يغلق دكانه هو الآخر وجان يتلكأ)

obeikandl.com

جـــــان : أشفقْ على مبروك.. فهو فتى غرير أحمق!

عـــــزام : لا تخش شيئًا، إنني أنا بالضحية أرفق!

جـــــان : هو ليس جاسر! إنني خالطته يومين

عـــــزام : أعرف

جـــــان : **(لنفسه وهو ينصرف)**

ماجور بيير الغر يحسب أنني رجل مغفل!

(يخلو المسرح تمامًا من الناس إلا من عزام وبوحريد وجاسر، والحديث يدور في شبه همس في مقدمة المسرح)

عـــــزام : ستحاصر القصبهْ

جاســـــر : متى؟

عـــــزام : الآن... بعد العاشرة قد يبحثون عن السلاح هنا

جاســـــر : **(لمصطفى في شبه أمر)** فلتنقلوه إلى المخابئ

مصـــطفى : إن المخابئ عامرة!

جاســـــر : فلتنقلوه إذًا إلى سرداب أحمد

أحمـــــد : فليكن

عـــــزام : دع مصطفى بوحريد يشغل بالسلاح واذهب فبدل أنت ثوبك

سأقود جاسر لاجتماع في قيادة جبهة التحرير يبدأ بعد ساعهْ

مصـــطفى : أيكون أول ما يناقش فيه نسف الكوميساريا؟

جاســـــر : حقًا.. فإنا إن ضربنا مركز البوليس..

obeikandl.com

عـــــزام : **(لجاسـر مقاطعًـا)** سـتكون أنـت القائـد المسـئول في نسـف الكوميساريا

مصـــطفى : تساعده أمينه

جاســـــر : طبعًا **(ثم لمصطفى)** وأنت تعال عند الفجر من بعد الصلاه حتى تبلغها بخطتنا التي سنعدها في الاجتماع

(جان يظهر في الصدر)

عـــــزام : **(لمصطفى)** سأكون عند الكافتيريا في انتظارك من أذان الفجر!

جـــــان : **(لنفسه)** ماذا يدور هنا وراء ظهورنا؟!

(جـان يتقدم فيشـعرون بـه، وإذ ذاك يمسـك عـزام بجاسـر مـن ذراعه ويقول بلهجة خاصة)

عـــــزام : والآن يا مبروك

(يضغط على اسم مبروك)

جـــــان : **(لنفسه)** هو ذا إذًا! هو ليس جاسر!

أنا لسـت بالرجل المغفل!

(ثم يخرج)

عـــــزام : عفوًا! وهل فيكم مغفل؟!

"ستار"

❖ ❖ ❖